خطبة عيد الفطر المبارك

عام ١٤٤٥هـ

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

روىٰ الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم قال: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فِطْره، وفرحة يوم لقاء ربه**»، وهاتان الفرحتان نحتاج إلىٰ أن نسمع شيئًا من الشرح في بيانهما.

وفي هذه اللحظة سأشرح الجملة الأولىٰ وهي: «**فرحة عند فطره**»، والجملة الثانية سأشرحها - إن شاء الله - في الخطبة القادمة في عيد الفطر الآتي.

هذا الحديث جمع فيه الرسول عليه الصلاة والسلام أنواع الأفراح التي ينالها الصائم إلىٰ فرحتين: الأولىٰ: في الدنيا، والثانية: في الآخرة.

أما الفرحة التي في الدنيا فهي أنواع كثيرة ومردها إلىٰ قسمين اثنين: فرحة محمودة، وفرحة مذمومة.

أما الفرحة المذمومة فهي المذكورة في قوله تعالىٰ مخبراً عن قوم قارون أنهم قالوا لقارون: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، قال المفسرون في قوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ أي: الأشِرين البطرين الباغين المَرِحين وما كان بهذا المعنىٰ.

فالفرح المذموم متىٰ كان فرح أَشَر وبطر وتكبُّر وبغي وظلم علىٰ العباد فهذا فرح مذموم في الشريعة وفرح محرَّم، وهو وبالٌ علىٰ صاحبه، فلا يجوز لمن

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون من أصحاب هذا الفرح.

أما الفرح الممدوح فهو علىٰ قسمين اثنين أيضـًا: فَرَح مباحٌ، وفَرَح عبادة لله وطاعة وقربة عند الله.

والفرح هذا أيضـًا ينقسم إلىٰ قسمين آخرين: إلىٰ فرح القلب وفرح النفس.

أما فَرَح النفس فهو فرحها بالمباحات التي أباحتها الشريعة، وهو الفرح بالمآكل والمشارب والمناكح وما أشبه ذلك، فهذا الفرح يدخل في قوله: «**فرحة عند فطره**»، فالذي يفرح عند فطره بأنه سينال المباحات ويتنعم بها ويتلذذ بها علىٰ أوسع وجه بدون حظر ولا تحريم فهذا الفرح جائز ومباح، وهو فَرَح النفس؛ لأن النفس تفرح بالشهوات والملذات.

وأما فرح القلب: فهو الفَرَح بالعبادات والطاعات، والفرح بما نزل من الوحي من عند الله، قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الرعد:٣٦]، فإذا كان بعض أهل الكتاب وهم ممن آمن ببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام يفرحون بنزول القرآن وبنزول سنة سيد الأنام؛ فمن باب أولىٰ أن يفرح أهل الإسلام أتباع سيد الأنام بإنزال الوحي من الله، بل أخبر الله عن الصحابة رضي الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة:١٢٤] أي: يُسرُّون ويفرحون عند نزول الآيات وعند نزول الشرائع

والأحكام.

وقال الله في كتابه الكريم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس:٥٨]، جماهير المفسرين - رحمهم الله - أن المراد بفضل الله: الإسلام، وأن المراد برحمته: القرآن.

فمن فرح بنزول القرآن الذي هو أجلُّ الكتب المنزَّلة من عند الله، والذي فيه الخير كله الهدىٰ والنور والحق، فهذا أجلُّ أنواع الفرح الممدوح.

فربنا قال: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ فدعا الله وأمر عباده المؤمنين أن يفرحوا بنزول القرآن الكريم، وكذلك أن يفرحوا بأن الله دعاهم إلىٰ الإسلام وأمرهم بالدخول فيه، وأوجب عليهم أن يكونوا مسلمين، قال الله: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ قال المفسر ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ أي: الإسلام الذي دعاهم إليه والقرآن الذي أنزل عليهم خير مما يجمعون من حطام الدنيا وأموالها وكنوزها، فقوله عليه الصلاة والسلام: «**فرحة عند فطره**» شامل لهاتين الفرحتين: لفرحة القلب الدينية، وهي الأصل والأبقىٰ والأدوم والأنفع، ولفرحة النفس الدنيوية.

ألا ولنعلم أن الفرح بالمباحات الدنيوية مشوبٌ بالتَّرح، مشوبٌ بالأكدار والأحزان والآلام والأوجاع والأمراض، وهو فرح عابر، وفرح زائل ومنقطع، بخلاف الفرح القلبي وهو الفرح بالدين والعبادات والطاعات، فإن هذا الفرح

يوصِّل بالفرح الأكبر في الآخرة، فهذا الفرح هو الذي نفتقر إليه، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "درء تعارض العقل والنقل": "السعيد من تاب الله عليه من جهله وظلمه".

فانظر ماذا تصنع في هذه الحياة، وأين وصلت في التوبة إلىٰ الله، وفي التعلم للعلم الشرعي، وفي التفقه في الدين.

وقال الإمام ابن حزم في كتابه "الأخلاق والسير": "من أنست نفسه بالفضائل والطاعات، ونفرت من الرذائل والمعاصي فهو السعيد، والشقي من أَنِست نفسه بالرذائل والمعاصي، ونفرت من الفضائل والطاعات فهو الشَّقِي".

فانظر بماذا تفرح وبماذا تُسر، وما الذي يجعلك في هذه الحياة تشعر بالسعادة، فإن السعادة العظمىٰ والسعادة الموصِّلة إلىٰ السعادة الأبدية هي الفرح بالإيمان والإسلام وباتباع سيد الأنام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ": "أسعد الناس أعظمهم عبودية لله".

فانظر إلىٰ صلتك بالله، هل أنت ممن عرف الله، ممن عظم الله، ممن أدىٰ حقوق الله، وما أوجب الله عليه للخلق والعباد.

الفرح القلبي أن يفرح العبد المسلم بكل ما يصلح به قلبه، يفرح عندما تعظم ثقته بالله وتوكله علىٰ الله، وعند توبته إلىٰ الله فيجد لذة لا نظير لها، لأنه يُنقذ نفسه من عبودية الشيطان ومن طاعة النفس والهوىٰ، يُخرج نفسه من الظلمات إلىٰ النور، هذا يجلب السعادة للقلب، بحيث يصير القلب عامراً

بالسعادة والسرور والفرح، فما أحوجنا إلىٰ هذه السعادة المملوءة بالسرور والأفراح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ": "السعيد ييسر بالأعمال الصالحة والشقي يسسر بالأعمال السيئة فمن كان سعيدا فإنه ييسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة؛ ومن كان شقيا فإنه ييسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة". فانظر من أي الصنفين أنت، فليكن فرحك بما يسبب لك السعادة والصلة بربك، والقبول عند الله، والرضا من قِبَل الله عز وجل، والمغفرة والرحمة من لدنه.

فهنيئـًا للمسلم الذي جعل نُصْب عينيه أنه يحب دين الله، يحب شرع الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضـًا: "الخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين: في العلم النافع والعمل الصالح". انظر إلىٰ مدىٰ حظك من العلم النافع وهو العلم الشرعي، ومن الأعمال الصالحة، فتزود منهما، فهما الزاد الأعظم، والقوت الأكبر، والقوىٰ العظمىٰ التي نفتقر إليها جميعـًا.

فحياة المسلم متىٰ كانت محفوفة ومبنية علىٰ هذا الفرح المذكورة آنفـًا، فلا تهتُّك، ولا تلاعب، ولا تغيير للحق، ولا تبديل له، وإنما تمسُّك واتباع وسيرٌ علىٰ منهاج النبوة، والرضا بالشريعة، والتغذية بها، فغذاء أنفسنا ونعيم أرواحنا وسرور قلوبنا هو بشرع الله وبدين الله عز وجل فهي الحياة العامرة ببرد اليقين.

إذًا أيها المسلم الكريم، لا يكن عيدك محصوراً علىٰ الفرح بأمور دنيوية

تزول عما قريب، أكلات تنتهي في لحظات، وهكذا مُتَع دنيوية فانية زائلة، فليكن الفرح بها علىٰ الطريق وعابراً، أما الفرح الذي يستوطن قلوبنا وتُعمر به أفئدتنا فهو الفرح يوم أن نكون عبيداً لله، لا يستعبدنا أحد سواه، فجاهدوا أنفسكم علىٰ طاعة الله ومرضاته، واجتناب المنكرات، افرح إذا أعانك الله علىٰ أداء أوامره وعلىٰ ترك نواهيه وزواجره، فالله أعانك وأمدَّك بقوة من عنده، الله شرح صدرك وطمأن قلبك، الله زادك هداية وتوفيقًا وإلهامًا وتسديداً، افرح بهذا العطاء من الله، وبهذه المواهب من رب العالمين سبحانه.

فلهذا معاشر المسلمين هذا اليوم العظيم من الأعياد الكبرىٰ في الإسلام، وهو - كما تعلمون - عيدٌ بعد أداء العبادة العظمىٰ والطاعات الكبيرة، ومن ذلك: أن المسلم يفرح أنه صام رمضان كله، فلم يعبث ولم يلعب، ولم يخدش صيامه لا بترك صيام يوم أو أكثر بدون عذر، وكذلك أيضًا لم يُفسد أجور صيامه بأنواع من الآثام والأوزار، إن كنت علىٰ هذا فافرح بما منَّ الله عليك بهذا الصيام العظيم، وهكذا يفرح العبد أنه أقام صلاة التراويح، يفرح أن الله عز وجل جعله من أهل هذه العبادة، سمع القرآن يُرتَّل ويُتلىٰ عليه، بل الذين يصلون بالقرآن كله يكون المسلم قد سمع القرآن كله من أول المصحف إلىٰ آخره، فيا لها من نعمة وما أعظمها من كرامة حُرِم منها من حُرِم.

وهكذا الفرح بكثرة قراءة القرآن، وبالصدقات وأفعال الخير والبر، والإحسان، وبالعفو، وبالصفح، وبغير ذلك مما وُفِّق له أهل الإسلام في هذا

الشهر الكريم، فتفرح بذلك كله، وتحافظ علىٰ ذلك بعد رمضان، فلا ينتهي رمضان فتنقطع عن الخير، بل تكون بعد رمضان كمثلما كنت في رمضان في العبادات والطاعات التي أمرك الله بها، والتي دعاك الله إليها وايصال الحقوق إلىٰ العباد.

فاحذر أن تغيِّر بعد رمضان، وأن تفسد ما أصلحت في رمضان، وأن تخرِّب ما بنيت في رمضان، انتبه علىٰ نفسك، إنما الحياة الدنيا متاع الغرور، فلا تغتر بالشهوات، لا سيما الشهوات الخبيثة كالفرح بالإكثار من أكل القات، وكيف لا تكون هذه الشجرة خبيثة وأكلها مضرًّا بالأبدان والعقول والقلوب، وأما أضرارها بدين آكلي القات إلا من رحمه الله فحدث عن ذلك ولا حرج، فكم تارك لصلاة الجماعة بسبب العكوف علىٰ تناول شجرة القات، بل بعضهم تارك للصلاة بالكلية وغير ذلك وأما أضرارها في غير ذلك فكثيرة، فاحذر أن تفرح بهذه الشجرة، إذ كيف يجوز أن يُفرح بما جعله الله خبيثًا، والقات خبيث عقلاً وعرفًا وشرعًا وقانونًا وغير ذلك.

فحافظوا علىٰ الصلوات في هذا اليوم العظيم، حذاري أن يتسلط الشيطان علىٰ أحدكم ويقول له هذا يوم عيد، يوم فرح، يوم سرور، خذ راحتك، فيضيع طاعة الله، ويهمل فرائض الله التي قامت بها السماوات والأرض.

نسأل الله أن يعيننا علىٰ طاعته، وعلىٰ مرضاته، وعلىٰ شكره وذكره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.